الصحافة والثقافة

تجربة أمريكية تستحق النظر

كان الامبراطور فيلهلم يكره الصحف و يحمل على الصحفيين . وكان يبدى عجبه إذ يرى أن جميع الحرف العالية كالطب أو المحاماة أو الهندسة لا يؤذن لأحد بممارستها الا بعد الحصول على شهادة جامعية ، أما الصحافة فتفتح لكل طارق أو واغل . وتبدو على هذا الرأى مسحة الصدق . ولكن عندما نذكر أن الصحافة تعالج جميع الشؤون الثقافيـة تتضح لنا سخافة هذا الرأى . ففى اللغة الانجليزية نحو عشرين صحيفة — بين جريدة ومجلة — تعالج البترول الطبيعى والكيماوى صناعة وتجارة . وهنـاك فى هذه اللغة أيضا مئات المجـلات التى تعالج التصوير الفتوغرافى . ومئات أخرى تعالج البقالة والصيدلة والبناء والبورصة . بل إن للزراعة من المجلات الاختصاصية ما يعد أيضا بالمئات . فمنها ما يتعلق باللبن ومشتقاته صناعة أو تجارة ، ومنها ما يتعلق بالقطن وحده أو بالغابات أو بالحدائق أو بالفواكه . وليس من المعقول أن نطالب كل من يكتب فى هذه الموضوعات بأن يحمل شهادة جامعية تشهد على أنه قد درس آداب الاغريق أو الكيمياء أو الميكانيات . لأن هـذه العلوم لا تتصل بما تعالجه الصحف . ولأن كثيرا من هـذه الموضوعات لا تعرفه المدارس أو الجامعات إذ هو من ثقافة الشعب وإن انحصرت فى بيئات معينة .

والجريدة اليومية وان كانت تلتفت للسياسة المحلية أو العالمية أكثر مما تلتفت الى أى موضوع آخر تحتاج الى جميع هذه " الاختصاصات " فى فنون مختلفة . وهى تعنى أو تهمل بعض الموضوعات وفقا للبيئة التى تنبت وتنمو فيها . ففى الأقطار الزراعية بل حتى فى الأقاليم الزراعية نجد الالتفات الكبير لشؤون الزراعة . كما نجد صحف البيئة الصناعية تطالب محررها بمتابعة الرقى العلمى الذى يحتاج اليه رقى الصناعات .

والواقع أن الصحافة ستبقى شعبية . وإيجاد أقسام صحفية فى بعض الجامعات لا يقصد منه إلا الى تنظيم الفرصة للتعليم . فإن الصحيفة تحتاج الى الكتابة الصحيحة . والمحرر الذى يغذو نفسه و ينمى ثقافته يحتـاج الى الوقوف على لغتين أو ثلاث لغات أجنبية . ولكن الصحافة أكبر بكثير من معرفة اللغات والكتابة الصحيحة . والجريدة أو المجلة الراقية هى التى تبعث فى قرائها روح النمو الذهنى . والمحرر العظيم ليس هو المحرر الذى اختبر الصحافة وعرف

الفنون الصحفية من حيث القدرة على الترويج والكسب . بل لعل هذه الميزات قد تكون نقائص إذ هي تحيل الصحيفة إلى أداة للكسب فقط وتفقد بذلك رسالتها للتنوير والإرشاد والتعليم . ولذلك قد يكون المحرر العظيم الذى يرشد وينير هو أجهل الناس بالنواحى التجارية للصحيفة . وجهله لهذه النواحى لا ينقص من فضله وقيمته . والمثل على ذلك ليس بعيدا . فنحن نرى فى مصر مجلات أسبوعية قد برع أصحابها فى ترويجها ووصلوا الى أقصى الغايات فى الانتشار . ولكن المتأمل للون السائد فى تحرير هذه المجلات لا يسعه الا الاعتراف بأنه لون سيئ . وأن متوسط الذكاء عند قراء هـذه المجلات لا يمكن أن يزيد على المتوسط عند صبيان فى الثانية عشرة من أعمارهم . فالفن الصحفى هنا ليس ناقصا ولكن ما تحتاج إليه هذه المجلات هو المحرر الكبير الذى يرفض أن ينقاد الى قرائه وينزل على مستواهم الغريزى . أى هو الذى يصرّ على أن يرفعهم إلى المستوى العقلى ويبعثهم على التفكير ولو أدى هذا إلى أن ينقص عدد قرائه .

والمحرر الكبير هو ذلك الذى لا ينقطع عن الدراسة أى دراسة المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويحثها جميعها بروح العالم الاختصاصى ولكنه يشرحها بأسلوب الصحفى الذى يريد أن يصل إلى جمهوره . والصحافة الراقية هى التى تصل بين الاختصاص الثقافى وبين المعارف الشعبية . وكثيرا ماينقطع الشاب عقب تخرجه من الجامعة أو المدرسة عن التحصيل المنظم . بل هـذا هو الواقع فى جميع الشبان تقريبا ولا يبقى عند هؤلاء من وسيلة للاستمرار فى ترقيـة أذهانهم وتنمية ثقافتهم غير الجريدة أو المجلة . فاذا كان الصحفى غير المستنير قد ركد ذهنه منـذ سنوات فإنه بتفكيره وتحريره يؤخر جمهوره ويعمم القصور والجمود .

وفى هذا الصدد نذكر تجربة قامت بها جامعة هارفارد فى الولايات المتحدة الأمريكية . فقـد مات أحد الصحفيين الأثرياء وأوصت أرملته بمبلغ كبير تنفق منه جامعة هارفاد على ترقية المحررين والمخبرين . وقد تركت هذه السيدة — مسز نيمان — حق الاختيار والتوجيه والأسلوب للجامعة .

وعندئذ عمدت هذه الجامعة فى سنة ١٩٣٧ إلى تسعة من الصحفيين : أربعة منهم مخبرون وخمسة محررون . ولم توضح الجامعة الأسس التى اختارت عليها هؤلاء التسعة . إنما يتضح من البيانات التى نشرت عنهم أن كلا منهم قد قضى على الأقل خمس سنوات فى الصحافة وكثير منهم قضى عشر سنوات . وواحد منهم قضى عشرين سنة فى الصحافة . ومن هؤلاء ستة قد حصلوا على شهادات جامعية . أما الأعمار فتتراوح بين ٢٥ و ٤٠ سنة ، وقد طلب الى كل من يرشح نفسه أن يعين المواد التى يحتـاج إلى درسها لكى يرقى بها عمـله الصحفى وتعهـدت الجامعة زيادة على جعل التعليم بالمجان بأن تؤدى لكل من هؤلاء التسعة أجره

الصحفى الذى كان يتناوله من الجريدة أو المجلة التى كان يعمل فيها قبل انتقاله الى الجامعة والإقامة هو وعائلته فى حيها .

وقد رحل هؤلاء التسعة مع عائلاتهم إلى جامعة هارفارد وهناك قضوا سنة كاملة فى الدرس .

وقد اختار أحد هؤلاء درس التاريخ الأمريكى من ناحية العلاقات بين الولايات المتحدة و بين الأقطار اللاتينية أى أمريكا الجنوبية . واختار آخر التوسع العلمى بدرس الطبيعيات لأنه يتخصص فى نشر الأخبار العلمية وشرحها فى مقالات شعبية . أما السبعة الآخرون فقد جعلوا دراساتهم عامة محيطة بما يتصل بالشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مثل الاقتصاديات والاقتصاديات الزراعية و إعانات المتعطلين والمسائل الخاصة بالأقاليم الجنوبية فى الولايات المتحدة .

هذه هى المسائل التى أراد هؤلاء الصحفيون أن يتخصصوا فيها . ولكن قاعات المحاضرات فى جميع الكليات فتحت لهم وأجيز حضورهم فيها لكى يزيدوا ثقافتهم ولكى يجدوا النزهة الذهنية التى تحبب إليهم الثقافة . وقد رتبت لهم الجامعة عشاء أسبوعيا يتناوب الحضور فيه عدد من الأساتذة الذين ينتفع الصحفيون بالتعرف إليهم والاسترشاد بآرائهم فى دراساتهم المختلفة . ومن هؤلاء الأساتذة الدكتور هنريش براوننج المستشار السابق فى ألمانيا سنة ١٩٣١ ، فإن جامعة هارفارد عقب الانقلاب الألمانى استقدمته للانتفاع بتدريسه .

وقد حضروا عشرات المحاضرات . ونضرب مثلا على ذلك بما فعله ذلك الصحفى الذى قلنا إنه يختص بتحرير المقالات العلمية وشرح العلوم بلغة يستطيع الجمهور فهمها . فإنه حضر المحاضرات فى الطبيعيات الذرية ، والفلك ، والفسيولوجية . والبكتريولوجية . والطب الوقائى . والانثربولوجية ، وتاريخ العلوم . وكل هذه مسائل يحتاج هذا المحرر إلى تبسيطها لقرائه . ونعم هذا الجمهور الذى يقرأ لهذا المحرر المتعلم .

وهكذا الشأن فى سائر الصحفيين . فإنهم جميعهم اختاروا ألوانا من الثقافة العامة أو مما يتصل بعملهم الصحفى . وقد أكب أحدهم على دراسة التاريخ البيزنطى مثلا . ووجدوا جميعهم فى آلاف المجلدات التى تزخر بها مكتبات الجامعة ما بعث فيهم روح البحث .

وعادوا بعد عام إلى صحفهم أكثر ثقافة وأعمق نظرا فى المشكلات العامة وأكثر نفعا لقرائهم .